المحاضرة 01 : مدخل حول تاريخ الفكر السياسي

يعد تاريخ الفكر السياسي جزءًا هاما من ميدان علم السياسة، يساهم بقوة في الانفتاح بالثقافة، وبناء علاقة بين مختلف العلوم (القانون، العلوم السياسية، العلوم الاقتصادية، علم الاجتماع...). لذا تعتبر مادة تاريخ الفكر السياسي مادة أساسية في دراسة كافة فروع العلوم السياسية، مما يجعل معاهد العلوم السياسية تهتم بتدريسها.

ماذا نعني بتاريخ الفكر السياسي؟

من أجل فهم معنى تاريخ الفكر السياسي سنقوم بتعريف المكونات الفرعية للمفهوم وتجزئته إلى ثلاثة أجزاء: تاريخ، فكر، وسياسة، للوصول إلى تعريف كلي للمركب.

أ- التاريخ

يعد علم التاريخ فرع من فروع الدراسات الاجتماعية، علاوة على ارتباطه الوثيق بالعلوم المساعدة الأخرى التي يحرص المؤرخ على الإلمام بها لإكمال الصورة التاريخية قدر الإمكان. فقد تطورت الكتابة التاريخية فلم يعد الأمر يقتصر على مجرد ترديد للقصص أو بسط للوقائع التي كان العالم مسرحًا لها، لكن أصبح من الضروري على الباحث دراسة العلل المباشرة للأحداث، ثم بحث العوامل العامة التي كانت ذات أثر في تكوينها زمنًا طويلًا. فحوادث التاريخ لا تقع فجأة لكنها في الحقيقة نتيجة سلسلة طويلة من الوقائع، وإن كانت عللها المباشرة تبدو كأنها هي الأسباب الوحيدة للأحداث. فعلى المؤرخ ـ إذًا ـ أن يبحث عن هذه العلل المتعددة الخفية البعيدة في زمنها عن زمن الأحداث ذاتها. ومنها تأتي أهمية معرفة العلوم المساعدة لدراسة علم التاريخ

تعتبر الحوادث التاريخية من أهم الموضوعات التي يهتم بها علم السياسة لأنها المصدر الرئيسي للأحداث السياسية الماضية، سيما في معرفة الفكر السياسي والنظرية السياسية قديما وحديثا، وظروف وعوامل النشأة والتطور، فالتاريخ هو سجل للوقائع والحركات السياسية، والعلاقات بين السلطة ورعاياها، والعلاقات الدولية، فضلا عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. لذلك لا يمكن دراسة أية حالة سياسية إلا بالعودة إلى جذورها التاريخية، وتطورها وصولا إلى الوقت الحاضر.

عموما، يُقصد بالتاريخ ذلك التسلسل الزمني لأحداث معينة تتعلق بالإنسان، ويتضمن التاريخ السياسي المعالجة المنظمة للأحداث السياسية . وفي مجال السياسة، فإن الباحثين السياسيين لا يهتمون بكل أبحاث المؤرخين، وإنما يحصرون اهتمامهم في تلك الأبحاث المتعلقة بدراسة النشاط السياسي للإنسان، وهنا يتحول التاريخ إلى مصدر مهم للمعرفة السياسية.

إن معظم التاريخ المدون هو تاريخ سياسي للملوك والحكام وعلاقاتهم مع بعضهم، وقليل منه هو تاريخ الشعوب وعاداتها وتقاليدها، وحتى هذا القليل يخضع الكثير منه للجانب السياسي، ولهذا السبب درس علم السياسة دراسة تاريخية من أجل استخلاص العبر منها، وتوظيفها لتحقيق أهداف سياسية معينة، وإذا كان الفكر يقود السلوك، فإن الأفكار والنظريات السياسية التي نادى بها المصلحون كانت سببا في الثورات والحركات السياسية والإصلاحات، كالثورة الفرنسية عام 1789، والتي ساهمت أفكار كل من منتسكيو، وجان جاك روسو في قيامها .

ب- الفكر

يستخدم مصطلح الفكر للدلالة على نتائج عمليات التفكير والتأمل العقلي، التي يقوم بها الإنسان بوصفه كائنا عاقلا مفكرا. تُعرَّف كلمة فكرة على أنها التصور أو الإدراك داخل العقل الإنساني لظاهرة محددة، وهي كذلك عملية ذهنية يؤديها عقل الإنسان لتمكينه من التعامل بفعالية أكبر مع العالم الذي يعيش فيه من أجل تحقيق أهدافه وغاياته وخططه ورغباته.

تفترض دراسة الفكر معالجته في إطار بيئته الاجتماعية الواقعية التاريخية، لنتمكن من تفسير علاقة التأثير المتبادل بين الفكر وبين البيئة التي تنتجه، لأن الأفكار ما هي إلا استجابات الإنسان العقلية لمطالب بيئته الاجتماعية وضغوطها وحلوله لمشكلاتها، وهو ما يجعل من الفكر متنوعا ومختلفا باختلاف البيئات الاجتماعية والأحداث التي يتعامل معها، وكذلك باختلاف القضايا والموضوعات التي يهتم بها ويعالجها.

بما أن الأفكار هي نتاج لتفاعل عقل الإنسان مع متطلبات البيئة التي يعيش فيها، ولأن أبعاد النشاط السياسي متعددة ومتباينة الصور، فإن هذا قد أدى إلى اتساع نطاق " الفكر السياسي " وامتداد حدوده، ليشمل كل الأبعاد والصور النظرية والعملية، التي تعكس الظاهرة السياسية وتجسدها في الحياة اليومية للمجتمعات.

ج- السياسة

لقد عرف الإنسان السياسة ومارسها عبر مختلف الأزمنة، فهي عبارة نشاط إنساني تشترك المجتمعات الانسانية في حيازته وممارسته، وقد عرفت هذه المجتمعات صورا مؤسسية متنوعة للسلطة السياسية (مملكة، إمارة، خلافة،...)

والسياسة لغة: هي مشتقة من ساس، يسوس، وساس الأمر، يعني قام به، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه.

أما اصطلاحا فعُرِّفت كالآتي:

-هي فن حكم الدولة.

-تعني رعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية.

-هي العلاقة بين الحكام والمحكومين.

-هي السلطة الكبرى في المجتمعات الإنسانية.

-هي عملية صنع القرارات الملزمة لكل المجتمع.

يعرف ريمون آرون السياسة على أنها : " كل ما له علاقة بحكم المجتمعات، أي ما له صلة بعلاقات النفوذ بين الأفراد والجماعات"

ويعرفها هارولد لاسويل : " هي دراسة النفوذ وأصحاب النفوذ، أو هي دراسة السلطة التي تحدد من يحصل على ماذا، متى وكيف"

أما عند ديفيد إيستون فالسياسة هي: " عملية التوزيع السلطوي للقيم المختلفة داخل المجتمع؛ بمعنى كيفية تقسيم الموارد في المجتمع عن طريق السلطة."

بعد تعريفنا للفكر والسياسة نتوصل إلى أن الفكر السياسي هو التصور أو الإدراك الذي يقدمه الإنسان للفعل والنشاط السياسي، أو لممارسة السياسة، بما يتضمنه ذلك من أهداف السياسة، خططها، وسائلها ونتائجها. فإذا كان الفكر دالا على التأمل العقلي للإنسان في ظواهر حياته، والسياسة دالة على حكم المجتمع وإدارة شؤونه العامة واتخاذ القرارات المتعلقة بتنظيم موارده وتفاعلاته وعلاقاته وتوجيهها

داخليا وخارجيا . فإن الفكر السياسي يدل على التأمل العقلي للإنسان في الظاهرة السياسية متمثلة في السلطة السياسية.

من هنا نصل إلى أن تاريخ الفكر السياسي يُقصد به دراسة تطور التصورات والإدراكات لمختلف المفكرين والفلاسفة فيما يخص النشاط السياسي وممارسة السياسة، عبر مختلف الفترات والمراحل الزمنية بداية بحضارات الشرق القديم ثم اليونان والرومان والمسلمين وصولا إلى يومنا هذا؛ حيث نجد أن تاريخ الفكر السياسي كانت بدايته خيالية مثالية ثم تطورت لتصبح معرفة علمية منهجية، نتجت عنها نظريات مختلفة.